التحليل اللساني البنيوي للخطاب الشفوي

ا.د: عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان
الجزائر

ليس من الســـهل – إن لم أقـــل من المستحيل – يـــوفق الدارس في إضفـــاء تعريف محدد على القـــراءة يلقى قبولا مطلقا لدى النقـــدة اللسانيين المعاصرين ولكنه بوقوفه على مجمل هذه القضايا عند هذا القـــارئ أو ذاك مقارنا إياها، ولو على المستوى التصويري قـــد يستطيع أن يبلور فكرته في الاتجاه الذي يخـــدم النص المعرض للقراءة إذا ما توفرت له الأدوات الأولية ذات العناية و الاطلاع على مضامين أهم النظريات التي تلفت الانتباه أكثر في هذا الميدان،شريطة ألاّ يغرق ذاتيته في الإعجـــاب بهذه النظرية أو تلك مقابل نفـــور أخرى من بعيد، لأن أصالة البحث تبقى المنفذ الوحيد للدراس حين يجد نفسه محاطا بعراكات فكرية رهيبة خاصة حين تكون هذه العراكات محركة بأدوات إيديولوجيـــة أو مؤثرات عامة خارجية .

لو استطعنا أن نعرف ماهية القراءة لاتضح ما يقرأ مرة واحدة لا مـــرات عديدة وبدون نهاية ، ثم إن القراءة كجنس لساني أدبي أو نقـــدي أو أي شيئ أخر ليست فقط متقاطعة مع ما يقرأ بل هي مترابطة بنوع الجنس الذي يقرأ أم ليست بنى الخطابات الشفوية مختلفة -مثلا- عن بنى

الخطابات الكتابية ؟ من الضلالة المنهجية بمكان أن نقرأ نصوص ما قبل الكتابة ، بنفس القاعدة التي نقرأ بها نصوص ما بعد الكتابة ، بل لا يمكن أن نقـــرأ نصوصا عامية أو شعبية بنفس الوتيرة التي نقـــرأ بها نصوصا فصيحة أو عامية ، لأنه شتان ما بين القراءتين و السبب يعرفه جدا المتعاملون مع طبيعة النصوص ، أو بعبارة أدق ، المدركون للوضعية التواصلية التي تفصل بحدود واضحة الخطاب الشفوي عن الخطاب الكتابي .

الكل يعلم أن اللغة الشفوية متعارضة في تزامنيتها وفي رموز اتصالها أو نظامها البنيوي بالنسبة للغة المكتوبة ، وقراءتنا لا تكون إلا وفق هذين النظامين المتباينين ، وذلك انطلاقا من الماهية الصوتية أو اللفظية و الماهية الخطية ، وهذا حتى على مستوى لغة واحدة.

والكل يعرف أن وحدة المعنى في الخطاب الشفوي تقوم على التركيب أو اللســـــانتـــغم (تنسيق الوحدات الدالة المتلاصقة)، بينما الوحدة الخطية في الخطاب الكتابي تقوم على الكلمة .(1)

والكل مقتنع بأن المدونة المعروضة سلفا أمامنا ، كيفما كان شكلها تنطلق من عالم لغوي شفوي أو قراءة شفوية داخلية تتصل بثقافة القارئ الخارجية ، لأن الاكتساب الثقافي الذي بحوزته هو في الآن ذاته بحوزة أفراد آخرين غيره ، أي هو سلوك ثقافي خارجي لا يملك سلطانه عليه باعتباره هو كذلك جزءا منه.

وقد لا يرجع الأمر إلى هذا الإرغام الخارجي وحده بقدر ما يعود كـــذلك إلى أن عمليـــة القراءة سواء أكانت لسانية أم غير لسانية خطيـــة

متعددة وفردية في الوقت نفسه ، ومن غير الممكن للقارئ أو المتلقي أن يقوم في الآن ذاته بما هو فردي يدخل في نطاقه،وبما هو جمعي يخرج عن إرادتـــه.

أما السيرورة الطبيعية لعملية القراءة في هذه الحالة فإنها محركة من الخارج برد فعل ما لكن لساني أوغير لساني من الداخل، وهذه السيرورة الطبيعية على هذا النحو ليست عامة ولا خاصة ليست عامة لأن ما يلفت نظري قد لايلفت نظرك ولا حتى وجهة نظرك ، وليست خاصة ، لأن ما يلفت نظري ليس حكرا لي دون غيري ، أي ليس خاصا بالأنا دون الغير.

الطبيعة البنيوية للخطابين: الشفوي والكتابي.

إن ما نحن مقبلون عليه من تحاليل بنيوية لنصوص تعود في معظمها إلى العصر العربي السليقي وفق مناهج سانتكسية توزيعية، وأحيانا وظيفية أو حتى دلالية (وهذا نادر)، ليقودنا إلى الحديث مبدئيا عن الطبيعة التركيبية لكل من هذين الخطابين وسنركز على الخطاب الشفوي ، بينما سنعرج تعريجا على الطبيعة البنيوية للخطاب الكتابي ، لأن هذا الخطاب يحتاج إلى جهد كبير مستقل ، على الرغم من أنه أكثر شيوعا من الخطاب الشفوي ، غير أنه سيظل شكلا فرعيا لاغير من الخطاب الشفوي .

أ ـ الخطاب الشفوي :

1- يفترض في التكلم و المتلقي (المستمع) أن يكونا حاضرين ، بحيث يجري سرد الخطاب المراد تبليغه في الوقت نفسه .

المتكلم ⟷ المستمع

(ش1)

2- الخطاب يكون عفويا، و غير قابل للمراجعة أو التنقيح ، ولا يكون هذا التصحيح ممكنا إلا بتقديم مرسلة (ميساج)تحث شكل أخر، وهنا يجب أن نتذكر بعض العادات الخطابية التي لا تزال آثارها مرسومة رسما متوارثا في الذاكرة الجماعية التي أصبحت مسجلة في الخطاب الكتابي ، و على سبيل المثال لا الحصر ، بعض التراكيب الإنسانية التي تبنتها اللغة الإنسانية المكتوبة بشكل عام وعللتها واصفة إياها بأوصاف شتى ، مثل الخطابات الشفوية العفوية التي أوجدت بعض الوحدات النحوية لإلغاء بعض الأشكال (بل:للإضراب) أو توظيف بعض الوحدات أخرى قصد تغيير وجهة نظر المتكلم نفسه إزاء حكم بعينه كالاستدراك مثلا ، (لكن الدالة على الاستدراك بأن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها) وهناك تراكيب سانتكسيـــة و مورفولوجية وصوتية ... لا تزال مسجلة في الخطاب الذي سجل كتابيـــا ، حتى في لغة القرآن الكريم نفسها ، كقـــوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[2]. وكالحديث الشريف : «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهارِ» .

وكقول بعض العرب :(أَكَلُونِي البَرَاغِيثُ)، وهذا التعبير هو أصل التركيبين السابقين... وفي أمثالهم :

- (عسى الغوير أبؤســـا)
- (ليت القسي كلها أرجلا)

و بالعكس للتركيب السابق تماما ، قولهم

- (لَعَلَّ أَبي المِغْوارِ مِنْكِ قَرِيبُ)،... إلخ.

إن أصل هذه التراكيب الجِبِلّة و العفوية و العادة اللسانية ، ولا مجال للمعيارية الصارمة هنا ، لأن الخطاب الشفوي الأصلي لم يكن بإمكانه أن يصحح وفق معيارية مألوفة إلا بتبديل شكل بكامله بشكل أخر ، أو إيجاد أدوات خفيفة ومختصرة يوظفها لاحقا للإلغاء أو تغيير وجهات النظر.

3-السانتكس البسيط مثل الجمل الغير التامة ، كقول أحدهم لصاحبه وقد كان لا يكلم الواحد منهما الآخر :

- ألا تـــ .....؟(أي:ألا تقوم أو تنهض ؟)

فيجيبه :

بلى فـــ....(أي : أجل ، فأقوم أو فأنهض)

وإلى جانب الاختصار نصادف تكرار القول الدال على التردد من جهة و التأكيد من جهة ثانية ، أو الدال على الارتجال وهروب الكلام مناحي شتى ، وغياب التنسيق كالفصل بين المضاف و المضاف إليه أحيانا ، أو بين النعت و المنعوت ، أو كإهمال الخبر اكتفاء بالمسند إليه ، فضلا عن افتقار الجمل إلى النعوت ، لأن المتكلم شفويا ليس له وقت مؤجل غير الوقت الذي هو فيه ليفكر في صفات معينة بدل ما يحضره عفويا منها أو ما اعتاد الناس أن يصفوا به بعضهم بعضا ، أو قل : إن النعت عندهم جزء من عادات كلامهم ، سواء كان نعتا لمنعوت معرفة أم نكرة.

4- القاموس الأساسي قائم في هذا الخطاب على الكلمات ذات الوظيفة الانتباهية غرضها إقامة الاتصال بين المتكلم شفويا و المستمع لخطابه، معتمدا على ما يحضره من مفردات كثيرة الاستعمال ، أو على الأقل لا يتكلفها مثلما نتكلم نحن بالعامية.

5- مرجعية الخطاب الشفوي المحال عليها يفترض فيها أن تكون ملموسة ولا تتقيد باستعمال الإنشاءات الرفيعة والمعقدة .

6- الإشارات الإيمائية التي يستعين بها المتكلم كالتعبير بإشارات الوجـــه والحركات العضلية والحواس الأخرى تقلص من تمديد الخطاب وتعميق معانيه.

ب- الخطاب الكتابي :

1- إن الكاتب لا يكتب ضرورة بحضور القارئ ، بل ما جدوى الكتابة إذا كان القارئ حاضرا ؟ ولذا فإن التبليغ يعد دائما مؤجلا:

الكاتب ..... القارئ

(ش2)

2- بالنظر إلى ما للكتاب من وقت للتفكير،يمكن له أن يألف خطابه بأحد الصور التي يراها أكثر ملائمة .

3-إن السانتكس الموضوعة (النعت هنا على المعنى لا على اللفظ) تختلف على السانتكس التي أشرنا إليها في الخطاب الشفوي ، فالكاتب يلجأ إلى استعمال الجمل المعقدة ، مثل النعوتات الكثيرة والعطف أو البدل أو عطف البيان ، وكذا تنظيم الظروف....

4- اختيار القاموس المستعمل كالمفردات الممكنة لا العاديـــة فقـــط والترادفـــات و الكلمات غير المعتادة بين العامة ...

5- تفخيم الخطاب و الزيادة فيه ،وخاصة فيما يتعلق بالكتابة الروائية أو الأجناس الأدبية الإبداعية عموما ،كقول لبيـــد :

غَلَبَ العَزَاءُ وَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّب دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودُ

أو كقول الآخر :

وَ قُولاَ هُوَ المَرْءُ الذِي لاَ كَرَامَةً

أَضَاعَ وَ لاَ خَانَ الأَمِينَ وَ لاَ غَدَرْ

فعلا،إن لبيدا لم يكتب هذا الشعر، لكن التزامه بالعروض وموسيقى الشعر أرغمه على الالتزام بضرب معين ، لكن غير مقيد ، من الخطاب .

6- ترقنة (TRANSCODAGE) المرسلة الانفعالية أو العاطفية المنقولة بواسطة التنغيم التعبيري و الحوار والحركات :

- سافر محمـــد (إ ثبات)
- سافر محـــمد (تعجب)
- سافر محمـــد ؟
- سافر محمد (بالاستطالة الصوتية على المقطع (سا) في الفعل سافر ليدل بعد ذلك على الأسف و الحسرة أو شيئ من هذا .....

لكن الجملة الرابعة من الصعب قراءتها قراءة صحيحة بالأداء الصوتي المطلوب لبلوغ الدلالة المرادة .

إن كل قراءة ينبغي أن تخضع إلى مراعاة هذين البعدين أمام مواجهة النصوص التي نقدم على قراءتها، لأن التراث الإنساني غني بمثل هذه النصوص الشفوية ، وما النصوص الكتابية إلا مدونات صناعية لفبركة النصوص الشفوية بدءا من الوحدة الصوتية الدنيا إلى الكلمة فالجملة فالنص.

الخطاب الشفوي،خطاب طفولتنا :

ومما يحضرني في هذا المضمار أن النص الشفوي الذي يعد أصلا جوهريا لكل نص كتابي ، ينتمي إلى لغة الصغار أكثر مما ينتسب إلى لغة الكبار بمعنى أن البساطة العامة التي تطبع النص الشفوي ترجع قبل أي شيئ إلى لغـــة طفولتنا ومنذ عام 1941 صاغ جاكبسون فرضية تذهب إلى أن الطفل يتعلم مختلف السمات المميزة للنظام الفونولوجي وفق ترتيب واضح فيها يصوائت طويلة مقابل تعارضاتها بالصوامت ،.... وهذا الترتيب الهرمي موجود تقريبا وثابت في كل لغات العالم(UNIVERSEL) ، غير أن هذه الفرضية غير مؤكدة حتى الآن إلا جزئيا »[5].

إن التقنيات و التعقيدات التي تطبع النص الرسمي أو الكتابي من أداء الكبير لا الصغير ، وهذا لا يعني في مفهومنا المطلق بأن هناك نصين متا بينين كل التباين ، لأننا نجهل النصوص الشفوية الأولى في اللغات الإنسانية وما بقي لنا منها مدونا ومرسوما لا يقوم دليلا على هذا التباين ، فمن جهة أن الكبير هو الذي سجلها حسب هواه المقبول رسميا ، ومن جهة أخرى أن الكبير هو الذي سجلها بلغة الكبار لا بلغة الصغار ، وعلاوة على هذا وذاك إن الصغير هو الذي يرث تراث الكبير ، وليس العكس ، فمن هنا جميعا يستحيل تحديد الطابع الجوهري الذي ينم النصوص الشفوية إلا بطريقة لسانية تطبيقية آنية.

النص الثابت المتحرك:

مثلما تتباين الطبيعة البنيوية للخطابين الشفوي و الكتابي ، حتى أنه لا يمكن إدراك مفهوم أحدهما إلا بتصور هذا التعارض التاريخي —والآني

بينهما ، فكذلك يتباين النص من حيث كونه ثابتا أو متحركا ، وهاتان السمتان مرتبطتان إلى حد ما بالخطابين السابقين .

إن النصوص الشعبية في أصلها ثابتة ثم تنحو نحو التحرك بفعل عامل الرواية و التنقال بين الشعوب ، ولما سجلت في وقت من الأوقات بنية الحفاظ عليها لما تضمنه من عناصر ثقافية خالدة وعادات وتقاليد ورموز تاريخية وشعبية .... أخذت تنحو شيئا فشيئا نحو الثبات ، غير أن تعدد رواياتها سيظل يشفع لها هذا التحرك.

بل ليس اختلاف الرواة وحده دليلا على تغيرها الدائب ، لأن اللغة الشفوية في حد ذاتها مجال متحرك أو فضاء حر من المراقبة خلافا للغة المكتوبة بمراقبة معيارية غالبا ما تكون صارمة.

إنّ الأمثال الشعبية التي نحفظ أو التي اطلعنا عليها ، سواء أكانت عامية أم فصيحة ، فإنها لا تكاد تخلو من بنيات لغوية إحداثية ، غير أن هذه البنية الحديثة لا تعمل على تغيير أي بنية من بناياتها السانتكسية أو المورفولوجـــية أو الفونولوجية ، ...لان تركيبها قصير لا يضطر السمع إلى الخطأ ولا يعرض الذاكرة الجماعية أو الشعبية كلها إلى النسيان خلافا للقصة و الرواية و الملحمة ، ...حتى قال أبو هلال العسكري في بناء بعض هذه الأمثال: ((هو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعا من غير أن يدل عليه لَفْظُهُ))[6] ، وأجدر بهذا القول أن يكون منطقيا ، لأن تركيبا مثل ((الصَّيْفَ ضَيَّعتِ اللَّبَنَ)) بكسر التاء إذا خاطبت العدد والجنس بجميع أنواعهما ،يدل على شذوذ في البنية السانتكسية المستقيمة نحويا ومورفولوجيا ، وكذلك في

مثلهم ((أَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا)) بتسكين الياء في باريها بدل فتحها ، لأن المثل هكذا سمع ، وهكذا يجب أن يروى ويظل حتى كأن البنية الدلالية تصير لا علاقة لها باستقامة البنية القواعدية ، حتى وإن كنا ندرك دائما بأن البنية في مثل هذه التراكيب وحتى في التعابير العامية هي بنية مقدرة في التركيب العام السليم ، أي هناك بنيتان : بنية سطحية قد يكون ظاهرها غير مستقيم وبنية عميقة مقدرة تقديرا سليما وفق القواعد المعهودة لدى الجماعات المتكلمة ذات السلطة على اللغة.

وقد يكون هذا شأن البنية الصوتية كذلك مثلما جاء في بعض المطاعم ((لَمْ يُحْرَمْ مَنْ فُزْدَ لَهُ)) ، أي : من فُصِدَ لَهُ ، وحتى حركة العين (الكسرة) التي كانت موجودة ، أو كان ينبغي أن توجد على الصاد التي تحولت إلى زاي آلت إلى سكون على الزاي.

والمثل أو التركيب الشفوي السابق لا يدرك مثلما ينطق وفي سلسلة خطية كلامية معهودة ، ولا ينطق مثلما يدرك تبعا لأصوات أو حتى وحدات دالة بشكل ظاهر، وإنما يتوصل إلى هذا جميعا بواسطة البنية العميقة المقدرة مؤلا متى كانت البنية الدلالية الخاطئة دليلا على صواب بنية دلالية ، حتى كأن الأصوات والخط ما هي إلا ((خصائص عرضية ينبغي ألا تدخل في التحديد العام للسان))[7] كما ذهب إلى هذا هلمسليف في بعض تحاليله.

لكن اللغة الشفوية ينبغي ألاّ تخضع إجباريا للنظريات اللسانية العامة فمن وحدات لسانية شفوية لا حصر لها، يتبين أن الوحدة اللسانية المتحدث عنها والمستفاض فيها في كل او اعب المناهج والنظريات اللسانية من خلال

لغة رسمية محددة غاية التحديد ،ليست دليلا كما ذهب إلى ذلك سوسور، ولا وحدات أصغر تكتشف طريق الاستبدال مثلما ذهب إلى ذلك هلمسليف :

نال ..... ◄ نام

غاب ..... ◄ تاب

وهو ما أسماه بمستوى التعبير ، ولا حتى بما أسماه بمستوى المضمون :

فتاة ..... ◄ بشر +أنثى

أليس : طلحة ..... ◄ بشر +ذكر؟

ثم أليست :

السماء ..... ◄ شيئ + ذكر + أنثى

زوج ..... ◄ بشـــر+ أنثـــى

زوجة ..... ◄ بشـــر+ أنثـــى

الصراط ..... ◄شيئ + ذكـــر + أنثـــى

فـــرس ..... ◄ حيوان+ ذكـــر + أنثـــى ...إلخ

نحن لا ننكر أن الوحدة (الواو مثلا في العربية) تتحدد بعلاقاتها وبعلاقاتها فقط ، مع الوحدات الأخرى في المنظومة اللسانية كما هو الحال في الجملتين العربيتين القديمتين :

1)لا رحمك الله ..... ◄ دعاء على المخاطب

2)لا رحمك الله ..... ◄ دعـــــاء لـــه

ولكن لا يمكن الافتراض بأن هناك ((منظومة لسانية كاملة متكاملة تشمل هذه العناصر من أصوات ومعان))[8] ، إلا إذا كنا نتحدث عن منظوم

وعليه فإن التحليل اللساني لا يكون عادة إلا بعد مراحل سابقة ومفروضة ، والتحليل الأجدى في نظرنا ، هو ذلك البعد الدلالي والصوتي والسانتكسي .... الذي يخترق الدال والمدلول كليهما باحثا عن الأدوات الفعالة وغير التعسفية لتفكيك التراكيب إلى وحداتها المستبدلة وإعادة بنائها في الآن ذاته ، وهذه العملية تنحصر ما بين وقائع لسانية خارجية أو تبدأ بها وما بين وقائع لسانية داخلية ، أو تنتهي إليها:

أمّا إذا كان الأمر يتعلق بعالم الإبداع، فإننا نعكس توجه الأسهم من الأعلى إلى الأدنى ، ونبدل لفظ (القراءة) بلفظ (الكتابة) .

ولعله ليس من التكرار أن نؤكد بأن تركيبا قبل أن يتحقق يدخل في مجال وقائع اللسانية الخارجية ، وبعد هذا التحقيق يدخل مجال وقائع اللسانيات الداخلية ، وثبوت التركيب بكل عناصره ووظائفه يكون ثابتا نسبيا فور اختزانه في الذاكرة الجماعية ، ويصير ثابتا بعد تسجيله خطيا . وبذلك كنا أشرنا في تناولنا لطبيعة البنيوية للخطابين : الشفوي والكتابي إلى الخاصة الطابع الجوهري الذي ينم عن النصوص الشفوية إلى طريقة آنية. المتكلم أمام البنية السانتكسية ونية القول ، وعلاوة على الاختلافات البنيوية الأولية المشار إليها بين الخطابين الشفوي والكتابي بشكل خاص لا في نية القول أو الخطاب، ولكن في وسيلة وطريقة تبليغ نية الخطاب.

إن المتكلم شفويا قبل أن يستعمل المسند إليه - مثلا- يكون قد فكر في نوع المسند الذي يناسبه أو يجانسه بنيويا ومقاما، وأحيانا حتى فيما تبيحه القواعد التقليدية ب"الفضلة"، سواء أكان لهذه الأخيرة نفس الوظيفة التركيبية (FONCTION SYNTAXIQUE) للعناصر السابقة مثل الفضلات المعطوفة(EXPANSION COORDONNEE) ليس لها نفس الوظيفة التركيبية للعنصر السابق مثل النعوت والمفاعيل والحال والبدل...

إنّ هشام بن عبد المالك حين تسائل في دهاء ومكر عن أحد آل البيت (زين العابدين) ، أجابه الفرزدق الذي كان حاضرا.

هَـــذَا الذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ

وَ البَيْـــتُ يَعْرِفُـــهُ وَالحِـــلّ وَ الحَـــرَمُ

هَـــذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَـــادِ اللهِ كُلِهِمُ

هـــذَا التقيُّ ، النقيُّ الطاهرُ العلـــــمُ

هذا ابن فاطمةٍ ، إن كنت جاهلهُ

بجـــده أنبيـــاءِ اللهِ قد خُتِمُـــــــوا

مَا قَال: لاَ، قطُّ ، إلاَّ في تشهّده

لَولاَ التَّشَهُّـــــدُ، كَانت لاؤهُ نَعَمُ

لم يكن غريبا على المتكلم هنا طبيعة المسند ، وما كان يعينه الإضافات واللواحقُ المتصلة بالفضلات والأوصاف.

إن المتكلم أغرق البيت أو كاد يغرقه بمجموعة من الفضلات الدالة على العطف،وهي دوال تركيبية أو سانتكسية لها نفس الوظيفة السانتكسية للعنصر السابق(البطحاء) ، والمسند (تعرف)في الشطر الأول من نفس البيت هو بمثابة النوات(NOYAU) التي يتشكل حول الشطر الأول من نفس البيت،ولذا فإن هذا الفعل (تعرف)بشكل الخطاب الأدنى لهذا التركيب وبدون هذا الفعل لا يمكن التلفظ بهذا التركيب على نحو سليم ،ويمكن إدراج هذا التركيب المشار إليه حسب علبة أو صندوق هاريس على الشكل التالي:

الجمل أو الشطر كله (1)	
تركيب أسمي(2)	تركيب فعلي(3)
اسم(4) نعت او بدل(5)	فعل(6) اسم(7) اسم(8)

(ش:3)

يمكن توزيع وحداته وفقا لعلبة هوكيت على الشكل التالي:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته(1)	
هذا الذي(2)	تعرف البطحاء وطأته(3)
هذا الذي(4)	تعرف(6) البطحاء(7)وطأته(8)

(ش:4)

وإذا استحال التلفظ بهذا القول على نحو تركيب آخر سليم ، فإن المقطع التالي من البيت الأول يمكن التلفظ به في أكثر من وجه أو شكل:

1) وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَ الحَرَمُ

2) يعرفه البيت والحل والحرم

3) يعرفه الحل والبيت والحرم.

4) يعرفه الحرم والبيت والحل.

5) الحرم يعرفه والبيت والحل.

6) الحل يعرفه والبيت والحرم

.....إلخ

وإذا أردنا إن نبحث عن أسباب ورود مثل هذه الفضلات المعطوفة والتي يمكن أداؤها بأكثر من شكل، فإن هذا يرجع إلى رغبة المتكلم في تفادي بنية الأسلوب المقطوع(Coupé)، وهذا دون الخوض في الأغراض البلاغية الأخرى والجمالية.

أمّا استعمال المتكلم للأسماء أكثر الأفعال، فإن ذلك يرجع بطبيعة الحال أو كون الاسم متعدد الوظيفة ،فالاسم الواحد قد يكون مسندا إليه

(مبتدأ فاعلا،اسم كان وأخواتها،خبر أن وأخواتها...) أو مسندا (خبرا...) أو فضلة.....إلخ ، خـــــلافا للفـــعل الـــذي لا يملك إلا وظيفة أحاديـــة (FONCTION UNAIRE).

ولتعدد وظيفة الاسم ،نجد المتكلم هنا يتجنب توظيف أي فعل كما هو الشأن في البيت التالي:

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي، النقي، الطاهر العلم.

حتى كأنما المتكلم يريد أن يبحث عن كل الاختيارات الممكنة لصياغتها صياغة تقابلية:

محـــــــور التركيـــــب.

هذا	ابن خير عباد الله كلهم
	التقـــــي
	النقـــــي
	الطاهـــر
	العلـــــم

(ش:5)

إنّ العناصر المكونة لهذه الخطابات المثالية ليست موظفة عبثـــــا أو بطريقة عشوائية ، لأنها وحدات تدل دلالة واضحة على علاقات تباينيـــة أو تعارضية على حد تعبير أو تعريف دي سوسور (12) ، معتبرا العلاقة التركيبية (Relation Syntagmatique) علاقة حضور، وموجودة بقوة الفعل خلافا للعلاقة الترابطية (Relation Paradigmatique) التي تجمع بين عبارات غيابية مضمرة في الذاكرة تقديرا بالقوة(13).

وهكذا ، فإنّ السند إليه (هذا) في مدونتنا أعلاه يمكن اعتباره تركيبا (syntagme)، ويوجد في علاقة تركيبية مع باقي الجملة التي يهيمن عليها النمط الأفضل للتركيب(syntagme) لولا أنها تنتمي إلى الكلام لا اللغة (14).

لما البحث عن عناصر الخطاب لمعرفة مدى إمكانية العثور على نفس التركيب ابن خير عباد الله كلهم / في محيط دلالي آخر ، فإننا نمثل ذلك على المحور الأفقي أو المحور التركيبي ، كما هو مبين أدناه:

محـــــــور التركيـــــــب

هـــــذا	ابن خير عباد الله كلهم
هـــــذا هـــــذا هـــــذا هـــــذا	

(ش:6)

مقامات المتكلم أمام إنتاجية الخطاب.

ومفهوم الاختيار الممكن شئ ، ومفهوم الاختيار المطلق شئ آخر.إن التركيب (ابن خير عباد الله) الممثل للمسند والقرائن اللاحقة به لإضافة دلالات معينة لسلسلة الخطاب مرتبط ارتباطا متلازما مع المسند إليه قبله (هذا) ،وهذا ما أشار إليه دي سوسور((ان عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الاثنين معـــا))(15)

غير أنه من غير الواضح المطلق أن خاصية الكلام من حرية الإنسان ، أو أن واقعة الكلام خاضعة للحرية الشخصية (16)، والذي هو مقبول حتى الآن أن الكلام خاضع لأوضاع الخطاب ومواقفه حسب المقامات والتواصلات ، فلا يليق مثلا استبدال أحد المسندات السابقة (ابن، التقي،...) بـــ (المنافق ، البخيل ، الشرير،الفاسق،....) ، أي أن ما يسمي بالاختيار لا يتم عشوائيا أو كيفما اتفق، وان الاختيار في أحد المستويين يرافقه اختيار مناسب في المستوى الآخر .

ولعله ليس من التكرار الممل أن نشير مرة أخرى إلى أن الاختلاف الجوهري بين المتكلم شفويا أو عفويا والكاتب بريشته لا يرجع فقط إلى نية الخطاب بقدر ما يعود إلى وسيلة تبليغ هذا الخطاب ، ذلك أن نية الخطاب قد تكون متعددة لكن وسيلة تبليغها مترددة في البداية وأحادية في النهاية.

إنّ ما يسمى بالأخطاء أو الهفوات اللسانية التي أحصيت هنا وهناك وفي مختلف أجناس التراكيب ، والتي نسبت إلى فطاحل المتكلمين

الشفويين أو المتخاطبين العفويين ، هي في حقيقة أمرها تؤيد نظرية دي سوسور فيما أسماه بحرية الشخصية في الكلام ، لكن المعياريين لم يتاسمحوا معهم ونقدوهم نقدا لاذعا ، ووسموهم بشتى السمات الدالة على اللحن ، حتى سيبويه لم يتردد في اتهام النحويين الذين استقبحوا بعض التراكيب التي حكمت عفوية على علاقاتها عن العرب فتصرفوا فيها ((وذلك قولك: ويح له وتب وتبا لك و ويحا ، فجعلوا التب بمنزلة الويح ، وجعلوا ويح بمنزلة التب فوضعوا كل واحد منهما على غير الموضع الذي وضعته العرب))(17).

مع أن غير واحد من الباحثين القدماء يقر بوجود مخارج لسانية لهذه التراكيب العفوية التي وسمت بعيوب شتى ، فهذا المرزباني يقول ((و على كثرة ما أنكر في الأشعار قد إحتج له جماعة من النحويين وأهل العلم بلغات العرب .....ولولا أنه لا يجوز أن نبني قولا على شئ بعينه ثم نعقب بنقضه في تضاعيفه لذكرنا الاحتجاج للشعراء في هذا الكتاب))(18).

إنّ المتكلم إذا أردف (هنا له صفة شاعر) بيتا وترك بيتا آخر ليقع فيما يسميه العروضيون بـــ (السناد)، كقول الشاعر (19)

إذا كنت في كل حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

وان باب أ مر عليك التـــوى فشاور لبيبـــا ولا تعصه

فإن المتكلم سواء أشعر بهذا العيب العروضي بعد إنجاز الخطاب أم لم يشعر فإنه لم يكن بوسعه مراجعة تركيبه الذي تلفظ به لباث حاضر لأن جميع الخطابات الشفوية يفترض فيها أن تكون ذات تلفظ والتقاط حضوريين، وإلاّ كانت جميع هذه الخطابات مشكوكا في تراكيبها لمتكلمين بأعيانهم ، ومن هنا كثر الحديث عن النحل والانتحال في التراث العربي

بحيث ذهب البعض مذهب هواه غير مراع التمييز بين النماذج الخطابية أو أصنافها ، فالخطاب العادي غير خطاب مقيد بقواعد إضافية :إذ هل المتكلم يخضع في تلفظه التركيب للعروض أم يخضع هذا الأخير بكل ما فيه من قواعد وقوانين معقدة وشائكة إلى التركيب ؟ربما كان ابن سلام القارئ الناقد الفذّ أول من كاد يفصل في المسألة ،إذ قال: ((والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر والشـــعر يـــحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلام))(20).

ومّما يلفت الانتباه حقا أن قول ابن سلام يكاد يكون متطابقا مع بعض آراء سوسور التي أشرنا إليها ، ولا بأس أن نعيدها ملخصة حتى لا يعتبر قولنا هذا زيفا ، إذ يقول سوسور : ((فخاصية الكلام هي من حرية الإنسان، وإذن لابد من التساؤل ما إذا كانت جميع التركيبات حرة بالتساوي ... ولكن يجب الاعتراف أن لا حدود هناك واضحة في مجال التركيب وذلك بين واقعة اللغة التي هي علامات الاستعمال الجمعي، وواقعة الكلام الخاضعة للحرية الشخصية)) (21).

وبين هذين الاقترابين لكل من ابن سلام وسوسور إزاء المتكلم أمام وضع معين لإنتاج خطاب غالبا ما يكون غير متوقع ، فإن الإشكالية مع ذلك تظل قائمة ، لأن هناك تباينا في التصور العام لإنتاج خطاب كلما عدنا من عالم الغياب لولوج عالم الحضور ، لأن اللغة في شكلها المادي الصوتي وفي جوهرها الدلالي الاصطلاحي أو حتى في أشكالها السيميوطيقية ماثلة أمام أي متكلم أو مرسل سلفا وليس العكس ، فمن هذا المنطلق نرى ان ثمة اختلافا في الكيفية على الأقل ، إن لم يكن في الطبيعة أيضا بين الحرية

الشخصية قبل الكلام،وهذه الحرية المرتبطة بإنتاج الخطاب بعد انتهاء عملية الكلام.حتى كأنما هذه الحرية بالنسبة لأي تركيب وخاصة التركيب الشفوي تنتهي فور انتاجه.

ولعل أحد أقوال سابير تقترب من تصورنا السابق إذ يقول:((إنّ الكلام صيرة تعبير شائع جدا في حياتنا اليومية،ونادرا ما نجد الوقت لتحديده)(22).

بعض النماذج التحليلية المختلفة :

وهكذا يمكن الاستمرار في تبني مختلف المناهج اللسانية البنيوية للوقوف على أية مدونة شفوية من خلال تحاليل لجملها وتراكيبها ،إن البيت:

هذا ابن فاطمة ، إن كنت جاهلة بجده انبياء الله قد ختموا

يمكن تحليله وفق مؤلفات مباشرة (Constituant Immédiat).

بعد تجزئته إلى شطريه : حيث نكتفي بتحليل الشطر الأول منه إلى أربعة تحاليل مختلفة ، على أن نتوسع في بعض هذه التحاليل خاصة وفق المنهج البنيوي التوزيعي ، مع توالي هذا العمل :

<table>
<tr><td rowspan="3">هذا
4</td><td>ابن
10</td><td>فاطمة
11</td><td>إن
6</td><td>كان
12</td><td colspan="2">جهل
13</td><td>ـــه
10</td></tr>
<tr><td colspan="2">ابن فاطمة 5</td><td colspan="3">كنـــ7</td><td>ت 8</td><td>جاهلـــ9</td></tr>
<tr><td colspan="3">هذا ابن فاطمة 2</td><td colspan="5">إن كنت جاهله 3</td></tr>
<tr><td colspan="8">هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله 1</td></tr>
</table>

(ش:7)

ويمكن إن يحلل التركيب نفسه وفق منهج بنيوي آخر ، وليكن المنهج المستوحى من القواعد التوليدية ، والتي نريد إن نشير إليها نظريا ، على إن نعود على مثل هذه التطبيقات ، خاصة مثل تلك المتعلقة بالبنيتين : السطحية والعميقة قبل نهاية هذا البحث :

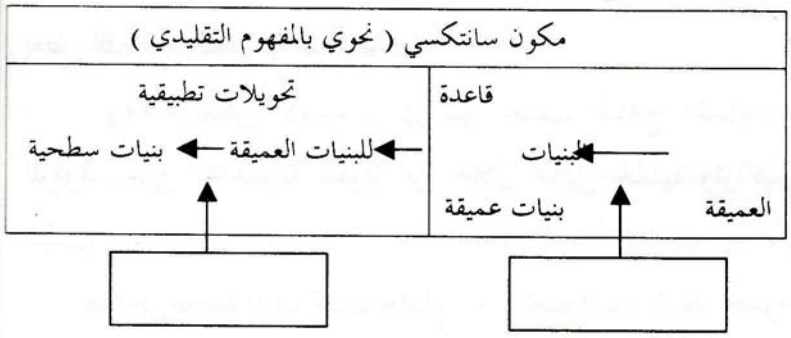

(ش:8)

أو تحليل نفس التركيب حسب علبة هوكيت Boite de Hockeit

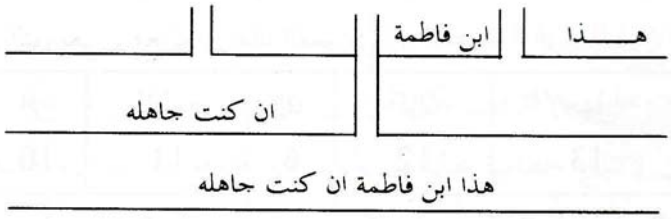

(ش:9)

أو حسب البيان العلائقي لتينيار :

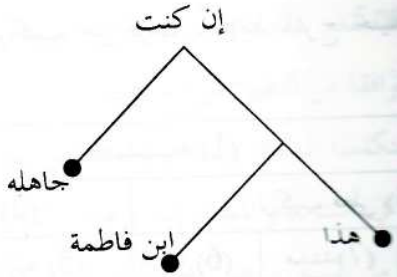

(ش:10)

إن الغرض من هذه التحاليل للنماذج الشفوية يقودنا إلى الوقوف على الوحدات التركيبية للخطاب ، لأن هذه الوحدات هي التي تقفنا على قصده هنا الأخير ، والمقصود بها هنا الوحدات التركيبية الاستبدالية (23).

وإذا أردنا أن نبحث عن العلاقة السانتكسية التي تربط الشرط وجوابه في هذا التركيب (هذا ابن فاطمة ، إن كنت جاهله) ، فإنها تدل على ما يمكن تسميته بالأسلوب الدوري (Style Cyclique) ، لأن المتكلم تجاهل قصدا ذكر جواب الشرط لتقدم ما يدل عليه ، ثم لأنه يخاطب متلقيا يعرف جيدا هنا المتسائل عنه.

أما البيت الأخير ، فيمكن تلقيه بإحدى القراءات أو أحد التحاليل السابقة ، أو غيرها من المناهج اللسانية المعاصرة المعتمدة ، وما يلفت الانتباه في هذا البيت توظيف المتكلم لوحدات دالة يمكن اعتبارها (هامشية) مثل تركيب :

ولا الشهد كانت لاؤه نعم.

وحتى نقف على هذا التركيب عن قرب ، فإننا نقترح تحليله وفق علبة هاريس :

الجملـــــة (1)				
تركيب اسمي (2)		تركيب فعلي (3)		
أداة (4)	مسند إليه (5)	فعل(6)	مسند(7)	مسند إليه(8)

(ش:11)

التركيبات الخطابية على غير مثال :

إنّ هذا التحليل على هذا النحو وقفنا على الوظيفة التي يحتلها كل عنصر من عناصر التركيب ، إلى أنه ينبغي أن نشير إلى أنه لا علبة هاريس ولا صندوق هوكيت قادران على استيعاب مواقع ووظائف هذه العناصر ، لأن هناك تساؤلات سانتكسسية محذوفة وجوبا من التركيب لا يجيبان عليها ومن هنا نرى لزاما البحث عن نظرية بنيوية أشمل مما هو موجود حتى الآن كلما حاولنا أن نطبق على العربية التي طاقتها كثيرا ما تفوق هذه المناهج اللسانية المعاصرة مجتمعة ، لأن الذين اهتدوا إليها أخذوا بعين الاعتبار اللغات الحديثة مدونة لأعمالهم ، ولذلك وجب علينا ان نكمل ضمنيا هذه المناهج اللسانية من القواعد العربية المألوفة كلما حاولنا ان نطبق بعضا من هذه المناهج على النصوص التراثية أو حتى الحديثة في اللغة العربية.

إن اللغة علاوة على كونها تتمثل ((كنظام قواعدي مشترك في فترة زمنية معطاة بالنسبة لكافة المتكلمين لنفس المجموعة اللسانية))(24) ، فإنها شبكة من العلامات المعقدة وهذا التعقيد قد لا يرجع إلى هذه اللغة أو تلك

نسجها من فعل المستعملين المتجانسين لغة

التعبير عن أغراضهم ولو في نفس الخطابات .

(الشاعر) المتجانس لغةً مع من يتكلمون هذه اللغة

المسند إليه (هذا) تباينا على غير مثال ، وإلا كان

، هو قد يكون توافق معهم في المحور التركيبي أو

أيضا ، ولكنه تباين معهم في المحور الاستبدالي

وتشريح هذا المتكلم نفسه (25) :

مضوا

وأبو يزيد وذو القروح وجرول

أن المتكلم قال بنفس الخطابات وبنفس التراكيب التي قالها

الشعراء الثلاثة الذين ذكرهم .

هذا المتكلم أمرا عجبا ، وقد قال قبله متكلمون آخرون مثل

قول القيس :

على الطلل المحيل لأننا

نبكي الديار كما بكى ابن خزام

قول زهير :

ما أرانا نقول إلا معـــــارا أو معادا من قولنا مكـــــرورا

قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متـــردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم؟(26)

وتصريحات هؤلاء الثلاثة الأخيرين لا يفيد أنهم عبروا عن نفس السياقات أو المواضيع بنفس التراكيب والأساليب ، وهذا موضوع آخر يدخل في الدراسات الأسلوبية والفنية والجمالية ، وتقنيات أخرى لا نريد أن نتورط في الحديث عنها هنا ، لأن مثل هذا الحديث يخرجنا حتما عما نهدف إليه في هذه الدراسة التي لا نريدها أن تحيد كثيرا عن القراءات اللسانية بأشكال أو شكل من الأشكال .

وإذا كان المتكلم – شفويا خاصة – عضوا ثانويا بالنسبة لمجتمعه اللغوي المتجانس ، فإنه يعد عضوا أو فردا أساسيا بالنسبة للاستعمالات اللغوية لأن الملكة اللغوية ملكة الجميع وهو قد اكتسبها اكتسابا بصورة لا واعية ولاسيما اللغة الأم،أما القدرة على أداء هذه الملكة وترجمتها إلى خطابات تختلف عن صورة أداء غيره لنفس الخطابات،فهي له،وله وحده فقط .

وإذن ، فليس مهما أن يتجانس متكلمون بأعيانهم في ملكة لغوية معينة لكن الأهم هو تباينهم في قدرة كل فرد منهم على تشغيل جهاز هذه الملكة اللغوية العاطل ، فكم في لغتنا القديمة من تراكيب وكلمات ... وصفت بأنها ميتة أو مهملة أو شاذة ... إلى غير ذلك من الأوصاف الخاطئة والحقيقة أنها لم تشغل بكيفية مستمرة وصورة عادية ، لأسباب تاريخية أو اجتماعية ... ، فوصفت بذلك

تركيبات خصوصية للخطابات الشفوية :

على أي حال ، إن الخطاب الشفوي خطاب مستقل بخصائصه التركيبية لا بعناصره اللسانية عن أي خط خطاب كتابي له أدواته الإجرائية وتقنياته الكتابية .

وعلاوة على ما أشير إليه أعلاه ، فإن الخطاب الشفوي يغلب عليه في الحالات العادية التراكيب الإسنادية (Syntagme Prédicatif) التي تقول الأدنى ، أو ما يقوم بالوظائف الأساسية ، وهي العناصر اللسانية التي لا يستغني الخطاب عن كلها أو جزء منها ، لأنها جميعا تدخل في القول كله وترتبط به ارتباطا كليا ومباشرا على شكل تيار.

وقلنا فيما سبق أن المتكلم شفويا قبل أن يستعمل المسنـــد إليه – مثلا – يكون قد فكر حدسيا في تصور المسند الذي يناسبه مقاما أو يجانسه لغويا ولربما ذهب إلى أبعد من ذلك فيتصور الفضلات المختلفة التي تلحق أو تتوسط التركيب المشتمل الوظائف الأساسية أو الجمل النواتية.

إن متكلمنا السابق قد اعتمد في تركيب نصه على أقسام كلامية تقليدية وخالدة في الآن ذاته ، لأن الوحدات التي وظفها وظفت قبله ووظفت بعده ولا تزال توظف إلى عهدنا هذا ، خاصة وأنها وحدات ترتبط مدلولها بآل البيت الشريف ارتباطا ولائيا حازما :

وليس قولك : (من هذا) بضائره

العرب تعرف من أنكرت والعجم

مشتقة من رســـول الله نبعـــته

طابت مغارسه ، والخيم ، والشيم

من معشر حبهم دين ، وبغضهم

كـــفر، وقربهم منجى ومعتصـــم

وأنها وحدات ترتبط مداليلها ورموزها ارتباطا ثقافيا قائما على أنساق اجتماعية عشائرية غير قابلة للجدل بل حتى للتنافي :

إذا رأته قريش قال قائلهـــــا إلى مكارم هذا ينتهي الكـــــرم

إنّ المتكلم عادة ما يعزف عن استعمال الأفعال كلما رأى أن تركيبا من تراكيبه مستغنى عنه ، أو لأن الفعل أو التركيب الفعلي يشترك في الدلالة المطلقة مع فئات الأسماء ، بل ربما كانت الكلمات الدالة على الإسمية أكثر دلالة من فئات الأفعال.

مقدم بعد ذكر الله ذكرهـــــم في كل بدء ، ومختوم به الكلـــم.

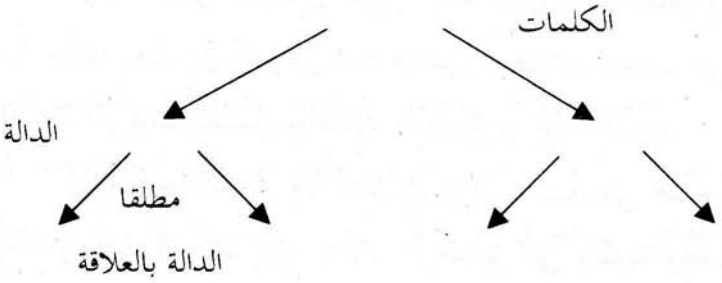

(ش:12)

وفي هذا يقول هاريس ، فيما هو معناه : ((كلمات تحتفظ بمدلولها وأخرى تفقده تماما ، القسم الأول يتكون من الكلمات الدالة مطلقا ،

والقسم الثاني يتكون من الكلمات الدالة بالعلاقة (بالإضافة أو الإسناد) ... كأسماء الضمائر وأدوات الظرف ووصلات وأدوات التعجب فهي إما تنتمي لهذه الأقسام وإما فئات لذاتها))(27).

ينتهي عن البيان أن هذه المقولة الهاريسية ليست مقولة عامة ، وإننا لا نختلف على اللغات التي تجهل خصائصها التركيبية ولكنها ليست مقبولة بالنسبة للغة العربية مثلا فيما يخص القسم الثاني الخاص بالحروف، كأدوات الوصل والتعريف ، فضلا عن كونه لم يخل مشكل وحدات لسانية أخرى هي في غاية الأهمية بالنسبة للتركيب في أية لغة مهيأة للتواصل الإنساني وبوجودها تكتب معاني الحروف وما جانسها من رسائل لغوية خاصة بهذا البيان و إلى تراكيب شفوية لا حصر لها، تجعلنا نستبعد هذه المقولة الهاريسية.

ومثل هذه التراكيب الاسمية التي قد تشيع لدى هذا المتكلم أو ذاك تعود إما إلى فقر اللغة في الأفعال الدالة مطلقا بنفس المستوى الخطابي الذي يمكن أن تؤديه كلمات إسمية بدلها ، وإما إلى كثرة الاشتقاقات التي تشتق من أصل واحد دون أن ننسى لنركز على الأهمية البالغة في هذا الشأن بالنسبة للعلاقات السانتكسية وعلاقات عناصرها الوظيفية فيما بينها وبين نفسها في الآن ذاته.

ثم لا ننسى أن نذكر مرة أخرى مثلما أشرنا في مواضع أخرى بأن لكل لغة وطاقتها وهذه الطاقة داخلية مرتبطة باللغة ذاتها ولذاتها وخارجية متصلة بالمتكلم الذي ينهل من هذه الطاقة في حدود قواعد معيارية أو وصفية ، فالشاعر حين يقول :

سهل الخليفة لا تخشى بوادره

يزينه اثنان : حسن الخلق والشيم

لم يحفل بذكر المسند إليه للعلم به ، وهو أسلوب بلاغي معروف ، واجتزاء بذكر المسند وما تبعه من فضلات ، كما أنه أناب الفضلة عن المسند إليه في التركيب الفعلي الموالي للتركيب الاسمي (لا تخشى بوادره) ، أي مثلما حذف المسند إليه وهو في صدر الكلام ، فالأولى أن يحذفه وهو في وسطه وتحليل التركيب السابق بنوعيه الاسمي والفعلي يعطينا الصورة الآتية :

<table>
<tr><td colspan="2">سهل الخليفة 2</td><td colspan="5">لا تخشى بوادره 3</td></tr>
<tr><td colspan="7">سهـــل الخليقـــة لا تخشـــى بـــوادره (1)</td></tr>
</table>

(ش:13)

وفي الخطابات الشفوية ينبغي ألا نعطي أهمية أكثر مما تستحق بنيتها على المستوى الدلالي ، لأن مثل هذا الاهتمام يورطنا في مجالات دلائلية لا نهاية لها ، ولذا فإننا هنا نعطي أهمية أكثر إلى البنية السانتكسية التي هي من ناحية متشابهة في اللغات الإنسانية ، وهذا ما لاحظه المناطقة منذ عهد بعيد وأكده حلقة مدرسة بور رويال ، لأن النحو البورويالي يرى أن الفكر البشري يتميز بوظائف ثلاث :

1- التصور ، أي عرض الموضوع (المحدث عنه) أو ما يسمى بالفاعل النحوي سواء كان فاعلا لفعل أم اسما مسندا إليه ...

2- الحكم ، وهو التعبير عن المحمول (أو المحدث به).

3- المحاكمة ، ويقصد به الربط بين حكمين لاستنتاج حكم ثالث (28).

ومن ناحية أخرى ، فإن تحليل أي خطاب ، بما في ذلك الخطاب المكتوب إلى مؤلفاته المباشرة يبين لنا أن كل عقدة (تحمل في طياتها سمة (trait) تعتبر رمزا لفئة سانتكسية (تعريف ، فعل ، اسم ، ...).

وهذا يمكننا أن نتمثل من خلال مخطط مشجرا اعتباطيا ، أي دون أي بعد أو تفسير دلالي ، ماعدا ما يمثل من أصناف توزيعية والتي تؤلف هذا المخطط لكل الجمل التي تملك هذه البنية السانتكسية (29).

مستويات التحليل للوحدات الدالة في الخطاب :

إن التركيب السابق (سهل الخليقة لا تخشى بوادره) يمكن تحليله وفق المستويات السانتكسية التاليـــــة :

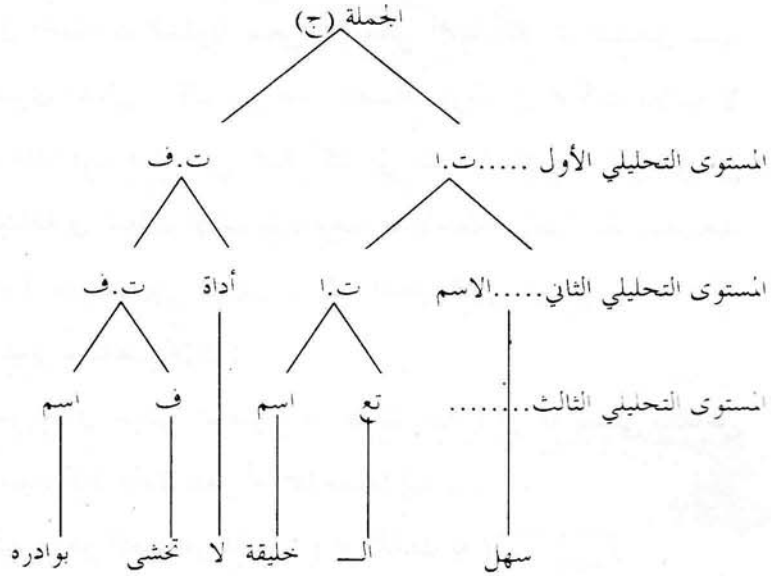

(ش:14)

وكل جملة على هذا النحو يمكن أن تحلل وفق هذه المستويات الثلاثة :

- كتاب الطالب لا تمزق أوراقه.
- دار العدالة لا تنتهك حرماتها .

ويمكن أن يستقل الرسم البياني الأخير الذي خصص لنائب الفاعل (بوادره) على أن تحلل الجملة في هذه الحالة إلى أربعة مستويات ويؤخذ الضمير المتصل بعين الاعتبار .

وكان ممن تعرضوا للعبارة اللسانية العالم اللساني الفرنسي بنفنيست الذي يرى أن ((العبارة وحدة لسانية متميزة بخصائص فريدة ، فهي تستوعب الإشارات ، و إن لم تكن إشارة بحد ذاتها ، ولا يصح تعريفها إلا بوصفها محمولا ، ولذلك تختلف اختلافا بينا عن سائر الوحدات اللسانية .

فهي ترقى إلى الحد الأقصى في تحليل المستويات من الوحدات الصوتية (Phonèmes) إلى الوحـــدات الدالة (Monèmes) فالعبارة . وإذا أمكن إحصاء الوحدات الصوتية والوحدات الدالة فإن العبارة لا حصر لها ، كذلك يمكن دراسة الوحدات الصوتية والوحدات الدالة ، من حيث توزيعها ، أما العبارات فلا توزيع لها))(30).

وانطلاقا من التحليل المنطقي الذي ينص على أن جميع الألسن تردنا إلى بنية مستترة مكونة من :

موضوع + محمول

(ش:15)

خلافا لأندري مارتيني الذي يؤكد على أوجه الخـــلاف بين اللغات(31) فإن العبارة (Enonce) هي كل تركيب تتصل عناصره بتركيب محمولي وحيد وما يتصل به من إضافات.

أما التركيب عند اللساني الفرنسي تينيير (Tesniere) فإنه يميز فيه بين ما يسميه الحدث (أو الفعل) وبين الفاعل الحقيقي الذي يسميـــــــه (Actant) والتركيب الظرفي (Circonstant) ويعرف تحليله بمخطط الشبكة ، فالتركيب البسيط : (أكل محمد) يكون التنظيم فيه خطيا مستقيما ويطابق السلسلة الكلامية الخطية ويكون متميزا ببعد واحد هو البعد الخطي أي مادة الكلام أو تعاقب الأصوات التي تؤلفه: (32)

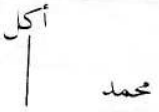

(ش:16)

أمّا الجملة (أكل محمد الفاكهة) فإن التنظيم يكون فيها متشبعا لأنه يتميز ببعدين يظهران في الشبكة .

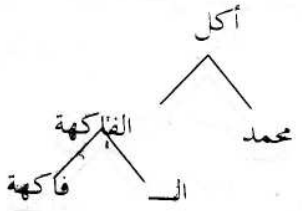

(ش:17)

وتمييز هذا اللساني بين العبارة أو القول من جهة، والحدث أو الفعل أو العمل من جهة ثانية يكمن في الرسمين التاليين: (33)

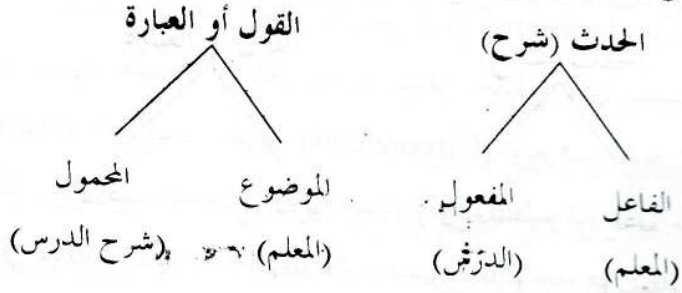

(ش:18)

وهكذا نجد أن اللسانيين المعاصرين لا يبرحون يلهجون بالأفكار المنطقية وتأثيرات بعض المدارس اللسانية القديمة ، غير أننا مع أندري مارتيني في أن كل لغة لها خصوصياتها ، وكما أشرنا فيما سبق ، لأن التقديم والتأخير وحدهما كافيان لتأكيد هذه الخصوصيات الداخلية ، فإننا لو أردنا

نرسم مثلا أحد التراكيب السابقة ، وليكن (بجده أنبياء الله قد ختموا) في ضوء ما يسمى بالموضوع والمحمول لصار الموضوع محمولا ، والمحمول موضوعا :

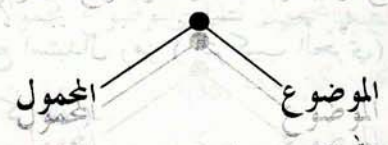

(ش:19)

وبالتالي يصير المحدث عنه محدثا به ، والمحدث به محدثا عنـــــه.

لكن الرسم السابق لا يجوز في هذا التركيب من ناحية الأهميـــــة أو الأولوية التي أرادها المتكلم استحقاقا لهذا التقديم وإنصافا لهذا التأخير بهذه التراكيب وردت على نحو مخالف لهذه البنية ، لكن التقديم والتأخير يبقى أن يظلا على حالهما :

- مشتقة من رسول الله نبعته .
- مقدم بعد ذكر الله ذكرهم .

فهذان التركيبان لهما – أي لوحداته – نفس التوزيع ، ويظهر هذا جليا لو أردنا أن نحلل كليهما إلى مؤلفاتهما المباشرة أو إلى مخطط مشجر كما يلي :

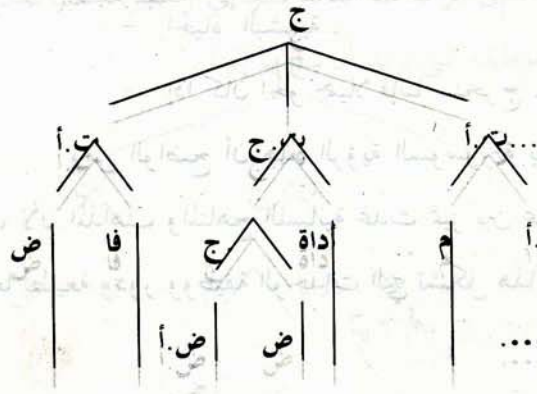

هو(محذوف) مشتقة من رسول الله نبعتـــه

(ش:20)

وتحليل التركيب (مقدم بعد ذكر الله ذكرهم) يخضع إلى نفس المستويات ، مع استبدال رمز (التركيب الْجَرِّي) بـــ(التركيب الظرفي) في المقطع (بعد ذكر الله).

وقبل هذه الفترة كان دي سوسور من اللسانيين الحداثيين الذين حددوا التركيب (Syntagme) بشكل عام ، وهو الخطاب الذي تقيم وحداته ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية ، لأنه يستحيل نطق عنصرين في الآن ذاته، وهذان العنصران يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر في إطار السلسلة الكلامية (Unités Consécutives) ، ثم يردف قائلا : ويمكن تسمية هذه التوافقات (Combinaisons) التي يكون المدى دعامة لها تراكيب (Syntagme) (34).

وإذن، فمن وجهة نظر سوسور ، يتألف التركيب دائما من وحدتين متعاقبتين أو أكثر مثل :(35)

- أعاد القـــراءة .
- ضـــــد الكل .
- الحياة البشرية .
- إذا كان الجو جميلا فإننا سنخرج .

ومن الواضح أن هذه الرؤية السوسورية تعد اليوم تقليدية إلى حد ما، لأن المذاهب والمناهج اللسانية غدت تميز بين عدة أصناف من التراكيب تبعا لطبيعة ودور ووظيفة الوحدات التي تشكل هذا التركيب أو ذاك .

إن الكتب التعليمية المعاصرة غدت تنظر إلى التركيب على أنه مجموعة كلمات تكون زمرة داخل الجملـــة :

- الأولاد الصغار يحبون الحلوى .
- حدثني تاكل بكل تؤدة (36).

إن التركيب في مثل هذه الحالات مكون من تتابع من المورفيمات (مورفيمات معجمية /أو مورفيمات نحوية) والمتكلم هو الذي يختار بنفسه الوحدات التي يركبها ، ففي جملة (الأولاد الصغار) يختار المتكلم علامة الجمع مقابل علامة المفرد ، لأن كلمة (الأولاد) نجد فيها مدلولين: أحدهما يحيل إلى المضمون المعنوي للمفرد (الولد) وثانيهما يرمز إلى معنى الجمع - وليس أي جمع ، لأن هناك جمعا آخر مثلا مقابلا لهذا الجمع (جمع التكسير) هو جمع المذكر السالم ، وهنا يصعب التمييز الخطي بين مدلول المفرد ومدلول الجمع خلافا لوضوحه في جمعي المذكرين والمؤنث السالم ، بالقاء دال هذين المدلولين يمثلهما دال واحد هو الدال الممتزج / الأولاد . كذلك اختار المتكلم نفسه والمفترض هنا ، أداة التعريف بدلا من النكرة ، وخصص الشيء يقال في النعت (الصغار) بدلا من (الكبار).

والمتكلم لا يختار هذه الوحدات الدالة بنفسها أو بغيرها عبثا ، بل يقدم على ذلك تبعا للوظيفة التي يريد أن يبلغها إلينا .

بيبليوغرافيا البحث

• البيبليوغرافيا بالعربية

1- تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)د.شوقي ضيف ،ط:3،دار المعارف،مصر.

2- الشعر والشعراء : ابن قتيبة مطبعة بريل 1902 ليدن.

3- الشعرية تودوروف . ط1/1987 .دار توبقال للنشر ترجمة : شكري المبخوت، رجاء بن سلامة.

4- طبقات فحول الشعراء.محمد بن سلام.تحقيق:محمود شاكـــر مطبعة المدني القاهرة.

5- الكتاب : سيبويه .تحقيق عبد السلام هارون . ط: 1966 دار القلم مصر .

6-اللسانيات العامة الميسرة،سليم بابا عمر،باني عميري،ط:1990،مط.أنوار .الجزائر.

7- محاضرات في الألسنية العامة .ف.دي سوسور .ترجمة يوسف غازي مجيد النصر .ط:1984.دار نعمان للثقافة – لبنان.

8- مدخل إلى اللسانيات . رونالد إلنيلوار . ترجمة د.بدر الدين القاســـم ط: 1980.مطبعة جامعة دمشق.

9- مدخل في اللسانيات. صالح الكشو . ط:1985. الدار العربية للكتاب تونس.

• البيبلوغرافيا باللغة الأجنبية :

1- Cours de linguistique générale F.de Saussure.

UNITE de REGHAÏA.ALGERIE .

Dictionnaire de ditactique des langues -2
R.GALISSON. D.COSTE HACHETTE 1976.
Initiation à la linguistique.CHRISTIAN -3
BAYLON , POUL FABRE Edition
NATHAN.1975.
4- Initiation à La Problématique Structurale.
T/2.J.L.CHISS.J.FILLIOLET,D.MAINGUERAU
HACHETTE 1978 - 1979
5- Le Langage . EDWARD SAPIR . Edition
PAYOT . PARIS .
6- La Linguistique (Guide Alphabétique). Andre
MARTINET . Edition De NOEL.

الإحـــــالات

1) Initiation à La Linguistique. P.49
2) سورة الأنبياء آية : 30
3) Initiation à La Linguistique. P.106
4) مرجع السابق ص : 106
5) La Linguistique (Guide Alphabétique) P.14
6) تاريخ الأدب العربي 408/01 د.شوقي ضيف
7) المسانيات العامة الميسرة ص:29.
8) مرجع نفسه ص:29
9) الشعرية ص:30
10) المسانيات العامة الميسرة ص: 29-31 و غيره من المراجع
11) راجع الشعرية ص:31

12) Cours de Linguistique Générale P.206

و قارن بالترجمة العربية ، ص:157 (انظر الكتاب في قائمة المراجع)

13) راجع محاضرات في الألسنية العامة ص:150

14) السابق ص:199

15) محاضرات في الألسنية العامة ص:149

16) نفسه ص:151

17) الكتاب 334/1

18) الموشح ص:2

19) السابق ص:7

20) طبقات فحول الشعراء ق56/1

21) محاضرات في الألسنية العامة ص:151 و قارن بالنسخة الفرنسية ص:199

22) Le Langage P.7

23) راجع اللسانيات الميسرة ص:39

24) Initiation a la Linguistique P.149

25) الشعر و الشعراء ص:47

و أبو يزيد هو المخبل السعدي ، و ذو القروح هو امرؤ القيس و جرول يعني به الحطيئة .

26) هذه الإشكالية مشهورة في كتب النقد العربي و تاريخ أدبه،و نحيل القارئ على كتاب: الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي،ص:92 للدكتور ج.هوارث

27) مدخل في اللسانيات ص:82 الاستاذ صالح الكبشو

28) مدخل إلى اللسانيات ص:120 – 121 رونالد ايلوار ترجمة د.بدر الدين القاسم .

29) Initiation à la Problématique structurale T/2.P14

30) مدخل إلى اللسانيات ص:131-132

122:ص

124:ص

125:ص

Cours de Linguistique Générale .P197

197:ص

Dictionnaire de didactique de langues. P.545-